

روح المعاني

والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه الا اللطيف الخبير وتوضيحه أنه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدء الأول عز شأنه وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم يسند عليه جميع انحاء عدمه الاصيلي لا يتصور بقاءه على الوجود بعد تحققه بعلمته ما لم ينسند عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لأن الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي .

وأنت خير بأن ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي ع^ق وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الأمور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في أن يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود وارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى أعني بقاءها على العدم مع امكان وجودها في انفسها في كل آن من آتات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجودات ع^ق وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده اه ويتراءى منه أنه قد ترك الامام في تحقيق هذا المقام وراءه وأنه لو سمع ذلك لأفتدى به في ذكره ولعد من النعم اقتداءه وقريب منه ما يقال في بيان عدم تناهي النعم : ان الوجود نعمة وكذا كل ما يتبعه من الكمالات وذلك موقوف على وجوده تعالى في الازمنة الموهومة الغير المتناهية وتحقق ما يتوقف عليه وجود النعمة نعمة فتحققه سبحانه في كل آن من تلك الآتات نعمة فالنعم غير متناهية ولك أن تقول في بيان ذلك : إنه ما من انسان الا وقد دفع ا^ق تعالى عنه من البلاء ما لا يحيط به نطاق الحصر لأن البلاء الداخلة تحت حیطة الامكان غير متناهية ولا شك أن دفع كل بلية نعمة فتكون النعم غير متناهية ومما يوضح عدم تناهي البلاء الممكنة أن أهل النار المخلدين فيها لازال عذابهم بازدياد كما يرشد اليه قوله تعالى : فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقد ذكر غير واحد في ذلك أنهم كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد من ذلك فيكون كل مرتبة منه متناهيها في الشدة وإن كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة وعلى هذا نعم ا^ق تعالى على المبتلى أيضا لاتحصى . وفي رواية ابن أبي الدنيا والبيهقي عن ابن مسعود قال : إن ^ق تعالى على أهل النار منه فلو شاء أن يعذبهم بأشد من النار لعذبهم ثم الظاهر أن المراد بالنعمة معناها اللغوي أعني الأمر الملائم لا المعنى الشرعي أعني الملائم الذي تحمد عاقبته إذ لايتأتى عليه عموم الخطاب ولا يبعد اطلاق النعمة بذلك المعنى على نحو رفع الموانع وتحقق العلل والشرائط حسبما ذكر سابقا وظاهر ما تقدم يقتضي أن النعم في حد ذاتها غير محصورة والآية ظاهرة في

أن الانسان لا يحصرها بالعد وفرق بين الأمرين فتدبر وبالجملة ليس للعبد إلا العجز عن الوقوف على نهاية نعمه سبحانه وتعالى وكذا العجز عن شكر ذلك وما أحسن ما قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه : من لم يعرف نعمة الله تعالى عليه الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه .

وأخرج البيهقي في الشعب وغيره عن سليمان التيمي قال : إن الله تعالى أنعم على العباد على قدره سبحانه وكلفهم الشكر على قدرهم وعن طلق بن حبيب قال : إن حق الله تعالى أثقل من أن يقوم به العباد وإن نعم الله سبحانه أكثر من أن يحصيها العباد ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين وأفضل نعمه جل شأنه على عباده على ما روى عن سفيان بن عيينة أن عرفهم أن لا إله إلا الله وأخرج ابن أبي الدنيا وغيره عن أبي أيوب القرشي مولى بني هاشم أن داود عليه السلام قال : رب أخبرني ما أدنى نعمتك علي فأوحى الله تعالى إليه يا داود